موقف الأئمة الأربعة من علم الكلام

د. عبد العزيز بن عبد الله بن رشيد المبدل
الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية
كلية التربية ـجامعة الملك سعود

ملخص البحث

عنوان البحث: موقف الأئمة الأربعة من علم كلام.

تضمن البحث تمهيدًا وأربعة مباحث وخاتمة كما هو مبين في خطة البحث، وقد تبين من خلال البحث اتفاق الأئمة الأربعة وهم أبو حنيفة ومالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى على تلقي العقيدة من مصادرها الأصلية وترتب على هذا اتفاقهم على أصول الاعتقاد وسلامتها من البدع والأهواء ولما ظهر علم الكلام وهو العلم الذي يقوم على إثبات العقائد الدينية عن طريق الأدلة العقلية، بادر الأئمة الأربعة إلى بيان خطره على دين الأمة وعقيدتها وكشف حقيقته لما يشتمل عليه من مقدمات وقواعد ومناهج منحرفة فتكاثرت أقوالهم في بيان أمره وإظهار مفاسده وسوء عاقبته والتحذير من صحبة أهله وضرورة هجرهم والنكال بهم حتى يتوبوا منه، فكان لموقفهم هذه آثاره الطيبة وعواقبه الحميدة حيث أدرك الناس فساد علم الكلام وسوء مآلاته فأعرضوا عنه وهجروا أهله وسلكوا سبيل السنة وجادتها، ولم يكن بحمد الله أي من الأئمة الأربعة دخل في شيء من علم الكلام أو استحسنه أو رخص فيه، وما ينسب إليهم من الدخول فيه فهو كذب وبهتان عليهم، فهذا إجمال ما تضمنه البحث وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

علم العقيدة – علم الكلام - الإمام أحمد – والإمام الشافعي.

Abstract

Research Title: The position of the four imams on the Scholastic Theology.

The research includes a preamble، four chapters، and a conclusion as shown in the research plan. It has been revealed through the research the agreement of the four imams: Abu Hanifa، Malik bin Anas، Shafi'I، and Ahmed bin Hanbal (may Allah have mercy upon them) that Belief must be received from their original sources. This resulted into their agreement on the principles of belief and safety of those principles from religious innovations and heresies. The

Scholastic Theology is based on proving the religious beliefs through rational evidence، which contributed to the emergence of religious innovations and heresies، and assisted in increasing their deviation; the four imams began to indicate its danger to the religion and belief، so they revealed its reality، because it includes premises، rules، and deviant methodologies. So their statements increased in clarifying it and showing its evil consequences، and warning of companying them، and necessity of abandoning them، and being harsh with them until they repent of it; so their position had its good effects and praiseworthy consequences as people realized the falsity of the Scholastic Theology and its bad repercussions، so they turned away from it and abandoned its advocates، and followed the path of Sunnah. Praise be to Allah that none of the four imams neither joined them، nor commended it or licensed engaging in it. Whatever is attributed to them that they engaged in it is false and blatant lie against those imams. This was the summary of the content of the research. May the blessings of Allah be upon Muhammad، his family، and his Companions.

The Science of Belief – Scholastic Theology - Imam Ahmed - and Imam Shafi'i.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فإن علم الكلام من العلوم الدخيلة على أهل الإسلام منذ القرن الثاني الهجري، لما ابتليت الأمة الإسلامية بتعريب كتب اليونان في عهد الدولة العباسية، فاطلع عليها أقوام فتأثروا بها وأعجبوا بما فيها، ورأوا أن ما فيها هو أشرف العلوم وأولاها بالتحصيل، وجعلوها أصلاً يردون إليه نصوص الشريعة وأدلتها، فمزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان وعلومهم، وأجهدوا أنفسهم في تقرير العقيدة الإسلامية باستعمال المنهج الكلامي والتصورات الفلسفية، فكان لذلك آثاره السيئة وعواقبه الوخيمة على دين الإسلام وأهله، إذ شوّهوا بذلك عقيدة الإسلام الصافية، وأحدثوا المعتقدات الباطلة، وردوا نصوص الوحي المحكمة بالتأويلات الفاسدة، وفرقوا

الأمة إلى فرق ومذاهب متناحرة.

ولما رأى السلف ذلك قاموا بواجبهم في مواجهة هذا العلم الفاسد والفكر الوافد، فأنكروا هذا العلم وبيّنوا فساده وكشفوا عواره وضلاله، وحذّروا الناس من الخوض في غماره والتلبس بأوضاره، وأبطلوا مزاعم أربابه وأنصاره، ونقضوا شبهاتهم ودحضوا أباطيلهم، وهدّموا قواعدهم، فأقاموا الحجج عليهم.

وقد كان للأئمة الأربعة وهم: أبو حنيفة، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل نصيباً وافراً، وجهداً عظيماً في مواجهة هذا العلم والتصدي له والنهي عن الخوض فيه، لإدراكهم خطره وما يؤول إليه من إفساد للأديان، والتشكيك في الإيمان، والإعراض عن القرآن والسنة.

ومن هنا رأيتُ أهمية بحث وبيان موقف الأئمة الأربعة من علم الكلام ونهيهم عن الخوض فيه، وبراءتهم مما نسبه إليهم بعض المتكلمين من أتباعهم من تأثرهم بعلم الكلام، وخوضهم فيه، وجعلت عنوانه "موقف الأئمة الأربعة من علم الكلام".

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تظهر أهمية هذا الموضوع ودواعي اختياره في الجوانب التالية:

١. بيان وحدة مصادر التلقي عند الأئمة الأربعة واتفاقهم عليها.
٢. بيان وحدة الاعتقاد عند الأئمة الأربعة وسلامتها من الأهواء.
٣. إبراز موقف الأئمة الأربعة من علم الكلام والخوض فيه.
٤. تبرئة الأئمة الأربعة مما نسب إليهم من الخوض في علم الكلام.

منهج البحث:

يمكن تلخيص منهج البحث في الآتي:

١. جمع الأقوال المنقولة عن الأئمة الأربعة ودراستها والتعليق عليها.
٢. توثيق الأقوال المنقولة وعزوها إلى مصادرها.
٣. عزو الآيات إلى مواضعها.
٤. تخريج الأحاديث النبوية تخريجا علميا سليما
٥. ترجمة الأعلام غير المشهورين وجعلته في ملحق آخر البحث.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

أما المقدمة، ففيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج البحث، المتبع في إعداده.

وأما التمهيد، ففيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف علم الكلام، وذكر نشأته.

المطلب الثاني: التعريف بالأئمة الأربعة.

وأما المباحث، فهي كالتالي:

المبحث الأول: وحدة مصادر التلقي عند الأئمة الأربعة.

المبحث الثاني: وحدة الاعتقاد عند الأئمة الأربعة.

المبحث الثالث: موقف الأئمة الأربعة من علم الكلام، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: موقف الإمام: أبي حنيفة رحمه الله.

المطلب الثاني: موقف الإمام: مالك بن أنس رحمه الله.

المطلب الثالث: موقف الإمام: الشافعي رحمه الله.

المطلب الرابع: موقف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

المبحث الرابع: موقف المتكلمين من الأئمة الأربعة.

الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث، التي انتهيت إليها.

الفهارس وتتضمن فهارس عدة للآيات والأحاديث، ومصادر البحث ومراجعه، وموضوعات البحث.

وفي الختام أحمد الله عز وجل على ما يسره وأنعم به من إتمام لهذا البحث وأسأله تبارك وتعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، ونافعاً لعباده المسلمين، وذخراً لي يوم الدين، إنه سميع مجيب، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

المطلب الأول

تعريف علم الكلام وذكر نشأته

أولاً: تعريف علم الكلام

تعددت تعريفات علم الكلام وبيان حده وحقيقته، وسأذكر ما يبين المراد ويفي بالمقصود.

فقد عرفه الإيجي بقوله: (الكلام: علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه)(١).

وعرفه التفتازاني بقوله: (العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسب من أدلتها اليقينية)(٢).

وقال ابن خلدون في تعريفه: (علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة) (٣).

وبإمعان النظر في هذه التعريفات نجد أنها متقاربة من حيث المعنى، وكلها تدل على الآتي:

١. أن علم الكلام علم بالعقائد الدينية، كالعلم بالله تعالى وصفاته، وبالرسل والرسالات، وبالمعاد وما يتعلق به، وهذا هو موضوع علم الكلام.

٢. أنه علم يقوم على إثبات العقائد بطريقة مخصوصة؛ وهي إثباتها عن طريق الأدلة العقلية.

٣. أنه علم جدل ومناظرة ومخاصمة؛ لأنه يورد الحجج العقلية، ويرد على الشبه المعارضة لها، و يؤكد هذا ما عليه كتب المتكلمين من الجدل والخصومات، ومن مجموع ما تضمنته تلك التعاريف من معاني، فيمكن القول بأن علم الكلام: هو

---

(١) المواقف للإيجي (ص٧).

(٢) شرح المقاصد ١/١٦٥.

(٣) مقدمة ابن خلدون (ص٤٥٨).

العلم الذي يقوم على إثبات العقائد الدينية عن طريق الأدلة العقلية[٤].

ثانياً: نشأة علم الكلام

حذر النبي ﷺ أمته من أسباب الانحراف عن المنهج القويم والصراط المستقيم، وهذا من كمال نصحه وإرشاده لأمته ﷺ حتى تركهم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ومما حذر منه أمته المراء والجدل واتباع المتشابه فعن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ آل عمران: ٧ قالت: قال رسول الله ﷺ: (فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذورهم)[٥].

وعن أبي أمامه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما ضل قوم بعد هدًى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ الزخرف: ٥٨[٦].

ولما ظهرت بوادر الكلام في المتشابه و الجدل و الخصومة في فهم النصوص المتعلقة بأمور العقيدة في زمنه ﷺ وأصحابه من بعده ﷺ رُدَّتْ بقوة، وحُسمت بشدة في وقتها، وقضي عليها في حينها، ومن شواهد ذلك ما يلي:

١. عن عمرو* بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال: وكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، قال: فقال لهم: "ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من

---

(٤) موقف المتكلمين من الاستدلال بخصوص الكتاب والسنة، د. سليمان الفصن ٢١/١.

(٥) أخرجه البخاري (٤٥٤٧) كتاب التفسير، باب (منه آيات محكمات) ومسلم (٢٦٦٥) كتاب العلم، باب: (النهي عن اتباع متشابه القرآن).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٢١٦٤)، والترمذي (٣٢٥٣) أبواب تفسير القرآن، باب (سورة الزخرف) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤٨) المقدمة، باب (اجتناب البدع والجدل) والحاكم (ح: ٣٧١٥) كتاب التفسير، تفسير سورة الزخرف. وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والحديث حسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٥٦٣٣).

كان قبلكم" قال: فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله ﷺ لم أشهده بما غبطت نفسي بذلك المجلس أي لم أشهده(٧).

٢. عن سليمان* بن يسار: أن رجلاً يقال له: صبيغ قدم المدينة، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر رضي الله عنه وقد أعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين، فضربه وقال: أنا عبد الله عمر: فجعل له ضرباً حتى دمي رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين، حسبك، فقد ذهب الذي كنت أجد في رأسي)(٨).

فهذا الحسم القوي من النبي ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم من بعده لمادة هذا المنهج العقيم أثمر رسوخ الإيمان بالعقيدة الصحيحة، ودوام الصلة بالكتاب والسنة، ومجانبة البدع والأهواء المضلة، والإعراض عن المراء والجدل وطلب المتشابه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:: (ومعلوم أن عصر الصحابة وكبار التابعين لم يكن فيه من يعارض النصوص بالعقليات، فإن الخوارج والشيعة حدثوا في آخر خلافة علي، والمرجئة والقدرية حدثوا في أواخر عصر الصحابة، وهؤلاء كانوا ينتحلون النصوص، ويستدلون بها على قولهم، لا يدَّعون أنهم عندهم عقليات تعارض النصوص، ولكن لما حدثت الجهمية في أواخر عصر التابعين، كانوا هم المعارضين للنصوص برأيهم، ومع هذا فكانوا قليلين مقموعين في الأمة، وأولهم الجعد بن درهم، ضحى به خالد بن عبد الله القسري)(٩).

وعندما اتسعت رقعة البلاد الإسلامية ودخل أبناء البلاد المفتوحة في الإسلام، وقد كانوا على أديان مختلفة، وبعد ترجمة كتب الفلاسفة وعلوم اليونان والفرس كثرت البدع، وظهرت المجادلات والمناظرات والخصومات، وظهر الافتراق في

(٧)أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦٦٦٨)، وابن ماجه (٨٥) المقدمة، باب (اجتناب البدع والجدل)، وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

(٨) أخرجه الدارمي (١٤٦)، الآجري في الشريعة (١٥٣)، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١١٣٨). وقد جمع الحافظ ابن حجر طرقها في الإصابة (١٦٨/٥-١٦٩). والقصة بمجموع طرقها صحيحة.

(٩) درء تعارض العقل والنقل (٢٤٤/٥).

الأمة، فخرجت الخوارج وكانت أول بدعة ظهرت في الإسلام، ثم حدث التشيع، ثم في أواخر زمن الصحابة ﷺ ظهر القول بالقدر، وتبعه ظهور بدعة إنكار الصفات على يد الجعد بن درهم، والجهم بن صفوان في أواخر القرن الثاني، وهاتان البدعتان هما منشأ علم الكلام ونواته، وبعدها ذاعت البدع وشاعت وفشت في الأمة، وبدأ الكلام يكثر ويشيع لا سيما على يد المعتزلة الذين يعدون أول من أنشأ علم الكلام في الإسلام.

وكان الجاحظ من المعتزلة من أوائل المستخدمين لمصطلح علم الكلام، فقد كان يكثر من استعماله في كتبه ورسائله(١٠).

ولم تكن مباحث علم الكلام واصطلاحاته لتظهر بين المسلمين لولا غلو المعتزلة ومبالغتهم في تقليد الفلاسفة، فقد ذكر الشهرستاني بدايات ظهور علم الكلام فقال: (ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين نشرت أيام المأمون، فخلطت مناهجها بمناهج الكلام، وأفردتها فناً من فنون العلم)(١١).

ولما ظهرت الأشعرية والماتريدية ساروا على ما كانت عليه المعتزلة من تدريس وتقرير مسائل الاعتقاد بالطرق العقلية والمناهج الفلسفية، وجعلوها أصلاً يردون إليه ما عارضه من النصوص الشرعية، ولم يقفوا عند ذلك الحد، بل زعموا أن كل ما وضعوه من قواعد ومناهج هي أشرف العلوم وأولاها بالتحصيل.

يقول أحد الباحثين: (وقد استفحل الشر بعد الشرخ الذي أحدثه الأشعري، حيث أصبح علم الكلام أداة أساسية لإثبات عقائد أهل السنة، ثم دخل علم آخر في كتب العقائد في مرحلة تالية، هي علم المنطق، ثم دخل علم ثالث بعد ذلك هو علم الفلسفة، وتداخلت موضوعاته مع الموضوعات الدينية، وأصبحت ترى في كتب العقائد عند المتأخرين خليطاً عجيباً من علم الكلام والمنطق والفلسفة متداخلة مع بعض العقائد الدينية في الدليل والمضمون)(١٢).

وجماع القول إن علم الكلام نشأ وتربى في أحضان القدرية والجهمية، ثم برز

---

(١٠) جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، د. محمد أحمد لوح (ص: ٤١).

(١١) الملل والنحل ٣٦/١.

(١٢) في مجال العقيدة ـ نقد وعرض، غازي التوبة (ص٥٦-٥٥٧).

بقوة على يد المعتزلة وخلفهم بعدهم الأشعرية والماتريدية حتى أصبحت مسائل الاعتقاد لا تعرف إلا وفق مناهجهم الكلامية وأصولهم الفلسفية.

المطلب الثاني

التعريف بالأئمة الأربعة

من المصطلحات المشهورة في التراث الإسلامي مصطلح الأئمة الأربعة، وقد تنوعت إطلاقات هذا المصطلح في بداياته، فأطلق في عصر تابعي التابعين على أئمة العلم في زمانهم، وهم مالك بن أنس بالحجاز، والأوزاعي بالشام، والليث بن سعد بمصر، وسفيان الثوري بالعراق رحمهم الله تعالى جميعاً، وكانوا أئمة الدنيا في عصرهم، كما وصفهم ابن تيمية: [(١٣)].

وفي عصر الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام أصبح الأئمة الأربعة هم الشافعي، وأحمد ابن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم بن سلام رحمة الله عليهم أجمعين، ثم استقر الأمر أخيراً عند عامة الناس منذ القرن الثالث الهجري وحتى اليوم على إطلاق مسمى الأئمة الأربعة على الأئمة الأعلام أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل †.

فهؤلاء الأئمة الأربعة هم أعلام الإسلام وسادات المسلمين وقدوة جمهرتهم، وأرباب مذاهبهم، وعمدة فتاويهم، بلغوا مبلغ الإمامة في العلم والعمل، وانتشرت مذاهبهم في الآفاق، وكثر لهم الأصحاب والأتباع، فدونت مذاهبهم وأقوالهم، وأتبعت آراؤهم، وسُلكت مناهجهم ودرست كتبهم ومصنفاتهم حتى لا يكاد يعرف في الفقه والفتوى سوى مذاهبهم. وفيما يلي نبذة يسيرة في التعريف بكل إمام منهم:

أولاً: أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (٨٠-١٥٠هـ)

هو النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي، ولد بالكوفة سنة (٨٠هـ)، وتوفي ببغداد سنة: (١٥٠هـ)، عُنى بطلب العلم وارتحل في سبيله، وبلغ المنتهى في الفقه والتدقيق في الرأي، أخذ العلم عن قتادة السدوسي، وحماد بن أبي سليمان، وعامر الشعبي وغيرهم؛ وتلقى العلم عنه أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي،

---

(١٣) مجموع الفتاوى ٣٩/٥.

ومحمد بن الحسن الشيباني، وزفر بن الهذيل، وغيرهم.

وقد أثنى عليه العلماء في زمانه وبعده، فقال ابن المبارك رحمه الله: ما رأيت في الفقه مثل أبي حنيفة. وقال الشافعي رحمه الله: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة. وقال الإمام الذهبي:: كان إماماً ورعاً عالماً عاملاً متعبداً كبير الشأن(١٤).

ثانياً: مالك بن أنس (٩٣-١٧٩هـ).

هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني، ولد بالمدينة سنة: (٩٣هـ)، وتوفي بها سنة: (١٧٩هـ) على الصحيح.

طلب العلم وهو ابن بضع عشرة سنة على مشاهير علماء وقته، منهم نافع مولى ابن عمر، والزهري، وربيعة بن عبد الرحمن، وخلق لا يحصون، وأخذ العلم عنه جمّ غفير من التلاميذ منهم الإمام الشافعي، وعبد الرحمن بن القاسم، ومحمد بن إبراهيم بن دينار.

صنف الموطأ وهو أشهر كتبه على الإطلاق، وقد أجمع أشياخه وأقرانه على إمامته في الحديث، وثقته في الرواية، وأثنى عليه أئمة العلم في زمانه، فقال ابن عيينة رحمه الله: مالك إمام. وقال الشافعي رحمه الله: إذا ذكر العلماء فمالك النجم. وقال الذهبي رحمه الله: اتفق لمالك مناقب ما علمتها اجتمعت لغيره، أحدها طول العمر وعلو الرواية. وثانيها: الذهن الثاقب والفهم وسعة العلم. وثالثها: اتفاق الأئمة على أنه حجة صحيح الرواية. ورابعها: تجمعهم على دينه وعدالته واتباعه السنن. وخامسها: تقدمه في الفقه والفتوى، وصحة قواعده(١٥).

ثالثاً: محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ).

وهو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المطلبي، مكي الأصل، مصري الدار والوفاة، ولد بغزة سنة (١٥٠هـ)، وتوفي بمصر سنة (٢٠٤هـ)، حفظ القرآن في سن السابعة، وحفظ الموطأ في العاشرة من عمره، رحل في طلب العلم وتلقاه عن أئمة زمانه، كالإمام مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة،

---

(١٤) تذكرة الحفاظ ١٦٨/١، وانظر في ترجمته تاريخ بغداد ٣٢٣/١٣، وسير أعلام النبلاء ٣٩٠/٦.

(١٥) تذكرة الحفاظ للذهبي ٢١٢/١. وانظر في ترجمته ترتيب المدارك للقاضي عياض ١١٩/١-١٢٠. تهذيب الكمال للمزي ٩١/٢٧.

ومسلم بن خالد الزنجي، وغيرهم وأخذ العلم عنه خلق كثير منهم الإمام أحمد بن حنبل، والبويطي، والربيع بن سليمان المرادي، وغيرهم.

صنف التصانيف النافعة، ككتاب الرسالة، وكتاب الأم، وكتاب إبطال الاستحسان، وغيرها؛ وبرع في فقه الكتاب والسنة، ونفوذ النظر فيهما، ودقة الاستنباط مع قوة الحجة ونور البصيرة؛ أثنى عليه أجلة العلماء والفقهاء، فقد عدّه الإمام أحمد بن حنبل من المجددين في هذه الأمة، وقال داود الظاهري: اجتمع للشافعي رحمه الله من الفضائل ما لم تجتمع لغيره. وقال أبو ثور: ما رأيت مثل الشافعي(١٦).

رابعاً: الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ).

هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني البغدادي، ولد سنة: (١٦٤هـ) ببغداد، وتوفي بها سنة: (٢٤١هـ)، أقبل على العلم منذ نعومة أظفاره، فطلب الحديث وهو ابن ست عشرة سنة، وارتحل في سبيل طلبه وتحصيله، فتلقى العلم عن أئمة زمانه، كالشافعي، وعبد الرزاق الصنعاني، وأبي داود الطيالسي، وخلق سواهم؛ وأخذ العلم عنه جمّ غفير ممن هم دونه، أو من أقرانه، أو من شيوخه، وتبحر في علم الحديث ورجاله وعلله، وأقبل على الجمع والتأليف والتصنيف في علوم الكتاب والسنة، فصنف المسند، وفضائل الصحابة، والرد على الجهمية والزنادقة، وامتحن في فتنة القول بخلق القرآن زمن الخليفة المأمون فسجن وأوذي فثبت ثبات الجبال الراسية، فأعز الله به الدين ونصر به السنة وقمع البدعة.

وأثنى عليه أئمة العلم والدين في زمنه وبعده، قال الشافعي: خرجت ببغداد وما خلفت بها أحداً أتقى ولا أورع ولا أفقه ولا أعلم من أحمد بن حنبل. وقال عبد الرزاق الصنعاني: ما رأيت أفقه من أحمد بن حنبل ولا أورع. وقال الخطيب البغدادي: إمام المحدثين، الناصر للدين، المناضل عن السنة، الصابر في المحنة(١٧).

(١٦) مناقب الشافعي للبيهقي ٧٩/١-٨٠، وسير أعلام النبلاء ٥/١٠-٩٨.

(١٧)تاريخ بغداد ٤١٢/٤، وانظر في ترجمته طبقات الحنابلة ٤/١-٢٠، وسير أعلام النبلاء ١٧٧/١١.

المبحث الأول

وحدة مصادر التلقي عند الأئمة الأربعة

إن أعظم خصيصة تميز بها أهل السنة والجماعة عن غيرهم هي منهجية التلقي لعلومهم، ومصدر الحق الذي ينهلون منه عقائدهم وشرائعهم وسلوكهم، وآدابهم وأخلاقهم، فمصدر العلم والحق في سائر فروع المعرفة عند أهل السنة والجماعة ـ ومنهم الأئمة الأربعة ـ هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فلا كلام لأحد قبل كلام الله تعالى، ولا هدي لأحد قبل هدي محمد ﷺ، فما وافق الكتاب والسنة أثبتوه وقبلوه، وما خالفهما أبطلوه وردوه، ولم يعارضوا الوحيين بالعقول القاصرة، والأقيسة الفاسدة، والفلسفة الزائفة، والمكاشفات الكاذبة، والأهواء المضِلّة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: رحمه الله تعالى مقرراً هذه المنهجية عند أهل السنة والجماعة: (وما تنازع فيه الناس من مسائل الصفات والقدر والوعيد والأسماء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك يردونه إلى الله ورسوله، ويفسرون الألفاظ المجملة التي تنازع فيها أهل التفرق والاختلاف، فما كان من معانيها موافقاً للكتاب والسنة أثبتوه، وما كان منها مخالفاً للكتاب والسنة أبطلوه، ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، فإن اتباع الظن جهل، واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم)[١٨].

ومما يقرره أهل السنة والجماعة أنه لا معصوم عندهم إلا رسول الله ﷺ، فالأئمة عندهم ليسوا بمعصومين، بل كل يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله ﷺ، فمقالات أئمتهم تابعة لسنة نبيهم ﷺ، وليست مقدمة عليها، فالذي يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، وترك ما نهى عنه وزجر هو رسول الله ﷺ، وليست هذه المنزلة لأحد من الخلق كائناً من كان.

ومما يعتقدونه ويقررونه أيضاً أن الأعلم بدين الله تعالى بعد نبيه ﷺ هم صحابته الكرام ﷺ، والسلف الصالح، فما أجمعوا عليه من أمر دينهم كان معصوماً لا يسع أحد أن يخرج عليه، فإجماعهم حجة شرعية ملزمة لمن بعدهم يجب اتباعه

(١٨) مجموع الفتاوى ٣/٣٤٧-٣٤٨.

والانقياد له.

فهذه الأصول الثلاثة ـ الكتاب، والسنة، والإجماع ـ هي مصدر تلقي العقيدة عند أهل السنة والجماعة، وهي أصول معصومة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:: (فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وما اتفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة، وما تنازعت فيه الأمة ردوه إلى الله والرسول)[١٩].

وقد تظافرت النقول عن الأئمة الأربعة في تقرير هذه الأصول والانقياد لها والتزامها، وعدم العدول عنها، وأنقل فيما يلي طرفاً مما ورد عنهم في هذا الباب:

أولاً: الإمام أبو حنيفة رحمه الله:

فقد نقل عنه أقوال عدة يحث فيها على الرجوع إلى الوحي؛ لأنه مصدر العلم والهدى، وسبيل الحق والرشاد، فمن تلك الأقوال:

- (إني آخذ بكتاب الله إذا وجدته، فما لم أجده فيه أخذت سنة رسوله ﷺ، والآثار الصحاح عنه التي فشت في أيدي الثقات عن الثقات)[٢٠].
- وقال: (إذا صح الحديث فهو مذهبي)[٢١].
- وقال: (لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه)[٢٢].
- وقال: (إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسول ﷺ فاتركوا قولي)[٢٣].

ثانياً: الإمام مالك بن أنس رحمه الله:

فقد وردت عنه أقوال كثيرة تدل على عظيم حرصه على الاتباع لكتاب الله

(١٩) مجموع الفتاوى ١٦٤/٢٠.
(٢٠) أخبار أبي حنيفة، للصيمري (ص٢٤). تاريخ بغداد ٣٦٨/١٣.
(٢١) حاشية ابن عابدين ٦٧/١.
(٢٢) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، لابن عبد البر ص١٤٥.
(٢٣) إيقاظ الهمم، للفلاني ص٥٠.

تعالى وسنة رسوله ﷺ والاكتفاء بهما، والتحذير من الإعراض عنهما، وكان مما نقل عنه:

- قوله: (كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر، يعني النبي ﷺ)(٢٤).
- ونقل عنه تلميذه الشافعي قوله: (محال أن نظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلِّمهم التوحيد)(٢٥).
- وقال: (إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه)(٢٦).
- وقال ابن وهب: قال لي مالك: (لا تعارضوا السنة وسلموا لها)(٢٧).
- وقال: (والتسليم للسنن لا تعارض برأي، ولا تدفع بقياس، وما تأوله السلف الصالح تأولناه، وما عملوا به عملناه، وما تركوه تركناه، ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا، ونتبعهم فيما بينوا، ونقتدي بهم فيما استنبطوه ورأوه في الحوادث، ولا نخرج عن جماعتهم فيما اختلفوا فيه أو في تأويله)(٢٨).
- وقال: (ما كان في كتاب الله، أو أحكمته السنة عن رسول الله ﷺ فهو حق لا شك فيه، وما كان عن اجتهاد الرأي فالله أعلم به)(٢٩).
- وقال: (قبض رسول الله ﷺ وقد تم هذا الأمر واستكمل، فإنما ينبغي أن تتبع آثار رسول الله ﷺ، ولا يتبع الرأي)(٣٠).

ثالثاً: الإمام الشافعي رحمه الله:

تكاثرت النقول عن الإمام الشافعي في وجوب الاتباع لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وأنهما مصدر العلم والهدى ومما قال في ذلك:

- (ففرض الله على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله)(٣١).

---

(٢٤) سير أعلام النبلاء (٩٣/٨)، ومناقب الشافعي للبيهقي (٣٦٢/٢).

(٢٥) الحجة على تارك المحجة، للمقدسي ح(٦٨٧). وسير أعلام النبلاء (٢٦/١٠).

(٢٦) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٦٢٢/١.

(٢٧) أورده السيوطي في مفتاح الجنة (ص: ٢٠٠-٢٠١).

(٢٨) أورده ابن أبي زيد القيرواني في الجامع ص١١٧.

(٢٩) حلية الأولياء ٣٢٣/٦.

(٣٠) جامع بيان العلم وفضله ٢٣٢/٢.

(٣١) الرسالة (ص: ٧٦).

- (فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها)[٣٢].
- (فكل من قبل عن الله فرائضه في كتابه قبل عن رسول الله سننه بفرض الله طاعة رسوله على خلقه، وأن ينتهوا إلى حكمه، ومن قبل عن رسول الله فعن الله قبل لما افترض الله من طاعته)[٣٣].
- (وقد سن رسول الله مع كتاب الله وسن فيما ليس فيه بعينه نص كتاب، وكل ما سن فقد ألزمنا الله اتباعه، وجعل في اتباعه طاعته، وفي العنود عن اتباعها معصيته التي لم يعذر بها خلقاً، ولم يجعل له من اتباع رسول الله مخرجا لما وصفت)[٣٤].
- (إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ، ودعوا ما قلت)[٣٥].
- (إذا صح الحديث فهو مذهبي)[٣٦].

رابعاً: الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:

تظافرت الأقوال المأثورة عن الإمام أحمد: في حثه على الأخذ بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والانقياد لهما، والتحذير من الرد لهما ومعارضتهما، ومما نقل عنه في تقرير ذلك:

- قوله: (ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله عز وجل، وفي حديث عن النبي ﷺ، أو عن أصحابه، أو عن التابعين)[٣٧].
- وقال في اليوم الذي مات فيه لبعض من دخل عليه: (عليكم بالسنة، عليكم بالأثر، عليكم بالحديث)[٣٨].

---

(٣٢) الرسالة (ص: ٢٠).
(٣٣) الرسالة (ص: ٣٢-٣٣).
(٣٤) الرسالة (ص: ٨٨-٨٩).
(٣٥) مناقب الشافعي ٤٧٣/١. والفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي ١٥٠/١.
(٣٦) المجموع، للنووي ١٠٤/١، وسير أعلام النبلاء، ٣٥/١٠.
(٣٧) حلية الأولياء ٢١٦/٩-٢١٩)، سير أعلام النبلاء ٢٨٦/١١.
(٣٨) طبقات الحنابلة ١٢٠/١.

- وقال في رسالة عبدوس بن مالك العطار: (أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة)(٣٩).
- وقال: الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ، وعن أصحابه ثم هو من بعد التابعين مخير)(٤٠).
- وقال: (من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة)(٤١).

وبالجملة فهذه النقول السابقة عن الأئمة الأربعة فيها الدلالة الظاهرة والبرهان القاطع على اتفاقهم على الاقتصار في تلقي أصول الاعتقاد والأحكام الشرعية على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، وما أجمع عليه سلف الأمة وتحذيرهم من الإعراض عنهما، وعدم الانقياد لهما.

وقد أثمر اتفاق الأئمة الأربعة على وحدة مصادر التلقي ثمرات جليلة منها:

١. اتفاقهم في مسائل العقيدة وعدم اختلافهم فيها، لأن مصدرهم الذي يتلقون عنه واحد.

٢. التسليم لنصوص الكتاب والسنة، والجمع بين نصوصهما، ورد المتشابه إلى المحكم، والانقياد لهما مع غاية الإجلال والتعظيم.

٣. اعتمادهم على الكتاب والسنة في كل الأحوال والتزامهم بها.

٤. جعل الكتاب والسنة ميزاناً توزن به الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، فلا يقبل من أحد قول، ولا اجتهاد إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة.

٥. لم يرفعوا أي مصدر آخر إلى منزلة الكتاب والسنة، فلم يعارضوا الكتاب والسنة بعقل، أو رأي، أو قياس منطقي، أو كشف صرفي، أو خيال فلسفي.

٦. تمكن الكتاب والسنة من قلوبهم وأفهامهم، فلم يلتفتوا إلى شيء من الأهواء والبدع والضلالات.

(٣٩) طبقات الحنابلة ٢٤١/١.

(٤٠) مسائل الإمام أحمد، لأبي داود (ص: ٣٦٨).

(٤١) طبقات الحنابلة ١٥/٢. والحجة في بيان المحجة ١٩٢/١.

المبحث الثاني
وحدة الاعتقاد عند الأئمة الأربعة

الأمة الأربعة هم من أئمة أهل السنة والجماعة، فقد اقتفوا نهج سلف الأمة وسبيلهم من الصحابة ﭬوالتابعين لهم بإحسان في المعتقد والشرع ولزوم الاتباع وترك الابتداع، لأن مصدرهم في التلقي هو ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ولم يكونوا يعارضون ما جاء فيهما بآرائهم ولا عقولهم ولا أذواقهم، وقد تقدم بيان هذا وبسطه في المبحث السابق.

وإن مما تقرر عند الأئمة الأربعة أن الاعتقاد لا يؤخذ إلا عن الله تعالى و عن رسوله ﷺ، لأنه يتضمن أموراً غيبية لا سبيل إلى العلم بها إلا عن طريق الوحي، فلا مجال للاجتهاد فيها وإعمال العقل في إدراك حقائقها. وهذا هو مقتضى العبودية لله ﻷ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

والاعتقاد الذي عليه الأئمة الأربعة، هو ما تلقوه عمن سبقهم من السلف الصالح من الصحابة ﭬ والتابعين لهم بإحسان، وتلقوه عن رسول الله ﷺ، فالصحابة ﭬ كانوا في زمن النبيﷺ على عقيدة واحدة، لأنهم أدركوا زمن الوحي ونالوا شرف الصحبة ونهلوا الاعتقاد من مورده الصافي وهو الوحي، ولم يكدروا صفوه بموارد ومشارب أخرى، فجاء اعتقادهم من أولهم إلى آخرهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة، ولم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، وتبعهم على ذلك بقية سلف الأمة وأئمتها، كالأئمة الأربعة وغيرهم.

وقد اعتنى جمع من المصنفين في أبواب الاعتقاد على اختلاف مذاهبهم الفقهية بنقل ما ورد على الأئمة الأربعة في مسائل الاعتقاد، فجاءت أقوالهم متفقة وألفاظهم متسقة وكلماتهم مؤتلفة، ولستُ هنا بصدد تتبع وسياق ما نقل عنهم في هذا الباب، فذلك قد تم بحمد الله على يدي ثلة من العلماء قديماً وحديثاً، وإنما أردتُ بيان ما تقرر عند المحققين من أتباع الأئمة الأربعة من اتفاق أئمتهم على أصول الاعتقاد.

يقول الإمام الأصفهاني الشافعي¬: (إنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم

من الديار وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد، وقولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافاً ولا تفرقاً في شيء ما وإن قلّ، بل لو جمعت ما جرى على ألسنتهم وتلقوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد على لسان واحد)[٤٢].

وقال الإمام أبو إسماعيل الصابوني الشافعي¬ بعد ذكره لجمل من اعتقادهم: (وهذه الجمل التي أثبتها في هذا الجزء كانت معتقد جميعهم لم يخالف فيها بعضهم بعضاً، بل أجمعوا عليها كلها)[٤٣]

وقال أبو زكريا السلماسي الشافعي: (فهم - أي الأئمة الأربعة- وإن اختلفت عنهم العبارات فقد اتفقت منهم الاعتقادات، كل واحد منهم مزكى الأمة وإمام الأئمة، فحكم تعديله وجرحه مسلم قبوله وطرحه، لا يخالف أحدهم صاحبه إلا في فرع مختلف فيه، لا يفسّقه ولا يغويه مثل لقطة الحرم، وتوريث ذوي الأرحام، فأما الكلام في صفات ذي الجلال والإكرام، ويتعلق بأسماء الله وصفاته المباينة لصفات الأنام، فلا خلاف في ذلك بينهم، ولا يؤثر تفرق عنهم يوجب كذبهم ومينهم، بل كلمتهم فيها متفقة وأقوالهم متسقة، سلكوا سبيل الاتباع دون الابتداع فيما نقلوا عن رسول الله ﷺ وأصحابه ﵃ ورووا)[٤٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ¬ وقد سئل عن عقيدة الشافعي فكان جوابه: (اعتقاد الشافعي ﵁ واعتقاد سلف الإسلام كمالك، والثوري، والأوزاعي، وابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وهو اعتقاد المشايخ المقتدى بهم،... فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة نزاع في أصول الدين، وكذلك أبو حنيفة ¬ فإن الاعتقاد الثابت عنه في التوحيد والقدر ونحو ذلك موافق لاعتقاد هؤلاء، واعتقاد هؤلاء هو ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وهو ما نطق به الكتاب والسنة)[٤٥].

ولما قيل لشيخ الإسلام ابن تيمية أنت صنفت اعتقاد الإمام أحمد- أي ما كتبه في العقيدة الواسطية - فأجاب ¬ بقوله: (ما جمعت إلا عقيدة السلف الصالح

---

(٤٢) الحجة في بيان الحجة ٢/٢٢٤-٢٢٥
(٤٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص٣١٥
(٤٤) منازل الأئمة الأربعة ص٥٥
(٤٥) مجموع الفتاوى ٥/٢٥٦

جميعهم، ليس للإمام أحمد اختصاص بهذا، والإمام أحمد إنما هو مبلغ العلم الذي جاء به النبي ﷺ ولو قال أحمد من تلقاء نفسه ولم يجيء به الرسول ﷺ لم نقبله، وهذه عقيدة محمد ﷺ)[٤٦].

وقد كتب الإمام أبو الحسن الكَرَجي كتاباً سمَّاه الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزاماً لذوي البدع والفضول، بيَّن فيه زيف دعوى من يزعم أنه تبع لأحد الأئمة في الفروع وهو مخالف له في الأصول حيث قال: (إن في النقل عن هؤلاء إلزاماً للحجة على كل من ينتحل مذهب إمام يخالفه في العقيدة... فانتحال مذهبه مع مخالفته له في العقيدة مستنكر ـ والله شرعاً وطبعاً، فمن قال: أنا شافعي الشرع أشعري الاعتقاد، قلنا له: هذا من الأضداد، لا بل من الارتداد، إذ لم يكن الشافعي أشعري الاعتقاد، ومن قال: أنا حنبلي في الفروع معتزلي في الأصول، قلنا قد ضللت إذاً عن سواء السبيل فيما تزعمه، إذ لم يكن أحمد معتزلي الدين والاجتهاد... وقد افتتن أيضاً خلق من المالكية بمذاهب الأشعرية، وهذه والله سبة وعار، وفَلتة تعود بالوبال والنكال وسوء الدار على منتحل مذاهب الأئمة الكبار)[٤٧].

ثم أورد رحمه الله في آخر كتابه خلاصة قيمة قال فيها: (فإن اتباع من ذكرنا من الأئمة في الأصول في زماننا بمنزلة اتباع الإجماع الذي يبلغنا عن الصحابة والتابعين، إذ لا يسع مسلماً خلافه ولا يعذر فيه، فإن الحق لا يخرج عنهم لأنهم الأدلاء، وأرباب مذاهب هذه الأمة، والصدور والسادة، والعلماء والقادة، أولو الدين والديانة، والصدق والأمانة، والعلم الوافر، والاجتهاد الظاهر، ولهذا المعنى اقتدوا بهم في الفروع، فجعلوهم فيها وسائل بينهم وبين الله، حتى صاروا أرباب المذاهب في المشارق والمغارب، فليرضوا كذلك بهم في الأصول التي بينهم وبين ربهم وبما نصوا عليه ودعوا إليه)[٤٨].

وبالجملة فإن فيما تضمنته هذه النقول والتقريرات عن هؤلاء المحققين إقامة الحجة وإظهار المحجة على كل من يتبع مذاهب هؤلاء الأئمة في الفروع الفقهية دون ما كانوا عليه في أصول الاعتقاد، وفيها كذلك إبطال لما نسب إليهم من

(٤٦) مجموع الفتاوى ١٦٩/٣
(٤٧) مجموع الفتاوى ١٧٦/٤-١٧٧
(٤٨) المصدر السابق ١٧٩/٤

الاعتقادات ما لم يقولوا، كما نبه إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ¬ حيث يقول: (وكثير من هؤلاء ينسب إلى أئمة الإسلام ما لم يقولوا، فينسبون إلى الشافعي وأحمد بن حنبل ومالك وأبي حنيفة من الاعتقادات ما لم يقولوا، ويقولون لمن اتبعهم هذا اعتقاد الإمام الفلاني، فإذا طولبوا بالنقل الصحيح عن الأئمة تبين كذبهم)(٤٩).

المبحث الثالث

موقف الأئمة الأربعة من علم الكلام

تقدم فيما سبق بيان اتفاق الأئمة الأربعة: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد على أصول الاعتقاد، وأن اعتقادهم قائم على ما نطق به الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة من الصحابة ﷺ والتابعون لهم بإحسان، وكانوا ينكرون على أهل الكلام من جهمية ومعتزلة وغيرهم ممن تأثروا بالمذاهب الكلامية وما ابتدعوه في دين الله تعالى من أقوال باطلة في صفات الرب جل وعلا وأفعاله ورسالاته لأنبيائه، ووعده ووعيده وحسابه وجزائه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ¬: (ولكن من رحمة الله بعباده أن الأئمة الذين لهم في الأمة لسان صدق، كالأئمة الأربعة وغيرهم... كانوا ينكرون على أهل الكلام من الجهمية قولهم في القرآن والإيمان، وصفات الرب، وكانوا متفقين على ما كان عليه السلف من أن الله يُرى في الآخرة، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الإيمان لابد فيه من تصديق القلب واللسان)(٥٠).

وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على ذم علم الكلام وأهله والتحذير منهم وبيان فساد طريقتهم.

قال ابن عبد البر رحمه الله (أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدعٍ وزيغٍ، ولا يُعدّون عند الجميع في طبقات الفقهاء، وإنما العلماء أهل الآثار والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالاتقان والميز والفهم)(٥١).

وقد تواترت واستفاضت الآثار الواردة عن السلف في ذم الكلام وأهله لما

---

(٤٩) مجموع الفتاوى ٢٦١/٥
(٥٠) مجموع الفتاوى ٤٠٢/٧-٤٠٣
(٥١) جمع بيان العلم وفضله١٣٠/٢

أحدثوه في دين الله تعالى من الدلائل والمسائل المبتدعة المخالفة للكتاب والسنة والنقل السليم، وكان من أشد السلف إنكاراً لذلك وتحذيراً منه ومفارقة لأصحابه، الأئمة الأربعة لما رأوه وأدركوا من خطورة هذا العلم على دين الله تعالى وصرف الناس عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وما احتواه من المبادئ الخاطئة والأمور الكاذبة، وإفضائه بأهله إلى الشك والحيرة والاضطراب، واشتغال أربابه بالجدل والخصومات مما أفضى بهم إلى التفرق والاختلاف والفتن وتكفير الناس بعضهم لبعض والتشكيك في إيمانهم وإسلامهم.

فلهذه الأسباب وغيرها عظم واشتد إنكار الأئمة الأربعة وذمهم لعلم الكلام، لإدراكهم خطره وسوء عاقبته، وفساد أمره، وإفساده للأديان وإضعافه للإيمان وإعراض عن السنة والقرآن، وسأورد في المطالب التالية ما تيسر الوقوف عليه من أقوال وآثار عن الأئمة الأربعة تبين موقفهم تجاه علم الكلام والخوض فيه.

المطلب الأول

موقف الإمام أبي حنيفة من علم الكلام

اشتغل الإمام أبو حنيفة رحمه الله في بداية طلبه للعلم بشيء من علم الكلام وسبب ذلك أنه عاش في الكوفة وكانت آنذاك موطناً لبعض الفِرق والنِّحَل المختلفة مما أدّى إلى غلبة الجدل والخصومات بين أتباع تلك الفِرق والنِّحل، فتأثر بهذه البيئة في بلده، فكان يخاصم ويجادل أهل الأهواء والجدل لظنه أن علم الكلام هو الفقه الأكبر وأصل العلوم وأعلاها ثم ترك الاشتغال به وأقبل على الفقه والسنن.

قال قبيصة* بن عقبة رحمه الله كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله في أول أمره يجادل أهل الأهواء حتى صار رأساً في ذلك منظوراً إليه، ثم ترك الجدل ورجع إلى الفقه والسنة، وصار إماماً(٥٢).

وكان سبب تحوله ـ كما ذكر في مناقبه ـ أنه رأى سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان لم يخوضوا في علم الكلام، بل نهوا عنه وحذروا منه واشتغلوا بالرواية والدراية، ولم يفتهم شيء مما أدركه من جاء بعدهم وهم أعلم بحقائق الأمور، فلما تبين لأبي حنيفة ذلك ترك المجادلة والخوض في علم الكلام ورجع إلى ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها وسلك سبيلهم من ذم للكلام وأهله

(٥٢) مناقب أبي حنيفة للمكي (ص: ٥٣-٥٤).

والتحذير منه وتحريم الدخول فيه لكونه من الأمور المحدثة التي لم يخض فيها السلف، وكل أمر محدث في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة.

وفيما يلي سياق لأبرز الأقوال والنقول الواردة عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله في بيان موقفه من علم الكلام والخوض فيه:

١. قال رحمه الله: (رأيت المشتغلين بالكلام وليس سيماهم سيما الصالحين، قاسية قلوبهم غليظة أفئدتهم، لا يبالون بمخالفة الكتاب والسنة والسلف الصالح، ولو كان خيراً لاشتغل به السلف الصالحون)(٥٣).

٢. سئل الإمام أبو حنيفة رحمه الله عما أحدثه الناس من الكلام في الأعراض والأجسام فقال: (مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة، فإنها بدعة)(٥٤).

٣. نهى أصحابه وتلاميذه عن الدخول في الكلام والخصومات في الدين، فقال لأبي يوسف رحمه الله: (إياك أن تكلم العامة في أصول الدين من الكلام، فإنهم قوم يقلدونك فيشتغلون بذلك)(٥٥). وقال محمد بن الحسن الشيباني: (كان أبو حنيفة يحثنا على الفقه وينهانا عن الكلام)(٥٦).

٤. وقال محمد بن الحسن: قال أبو حنيفة: (لعن الله عمر بن عبيد، فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيما لا يعنيهم من الكلام)(٥٧).

٥. وقال عن المعتزلة: (لم يكن في طبقات أهل الأهواء أحد أجدل من المعتزلة، لأن ظاهر كلامهم مموّه تقبله القلوب)(٥٨).

٦. وقال عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني: سمعت أبا حنيفة يقول: (جهم بن صفوان كافر)(٥٩).

---

(٥٣) مناقب أبي حنيفة للكردري (ص: ١٣٧-١٣٨).

(٥٤) ذم الكلام للهروي ٢٠٧/٥، أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٣٣/١.

(٥٥) مناقب أبي حنيفة للمكي (ص: ٣٧٣).

(٥٦) أحاديث في ذم الكلام للمقرئ ص٨٨. ذم الكلام ٢٢١/٥.

(٥٧) ذم الكلام للهروي ٢٢١/٥.

(٥٨) تاريخ بغداد (١٦٥/١٣. ميزان الاعتدال للذهبي ١٧٣/٤.

(٥٩) تاريخ بغداد ٣٧٦/١٣.

٧. قال أبو يوسف: (إن أبا حنيفة كان يذم جهماً ويعيب قوله)[٦٠].

٨. قال ابن أبي شيبة: قدم ابن المبارك على أبي حنيفة فقال له أبو حنيفة: ما هذا الذي دب فيكم؟ قال له: رجل يقال له جهم، قال: وما يقول؟ قال يقول: القرآن مخلوق. فقال أبو حنيفة: {كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا} [سورة الكهف: ٥] [٦١].

٩. وقال منكراً على جهم بن صفوان نفيه للصفات: (قاتل الله جهم بن صفوان ومقاتل ابن سليمان، هذا أفرط في النفي، وهذا أفرط في التشبيه)[٦٢].

١٠. وقال أبو حنيفة رحمه الله: (أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطل، ومقاتل مشبه)[٦٣].

١١. قال أبو يوسف: قال أبو حنيفة: (صنفان من شر الناس بخُراسان: الجهمية والمشبهة، وربما قال: والمقاتلية)[٦٤].

فهذه جملة مما نقل عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله من أقوال تبين من خلالها إنكاره رحمه الله للدخول في علم الكلام والخوض فيه، وأنه لم يكن من علوم السلف وطريقتهم، بل هو من مقولات الفلاسفة وضلالاتهم، فهو من البدع المحدثة والأهواء المردية، وقد دخل فيه أقوام فكان عاقبة أمرهم إما إلى كفر، كما حصل لجهم بن صفوان، وإما إلى زيغ وانحراف كأهل الاعتزال.

وكان أبو حنيفة رحمه الله عظيم النصح لطلابه، فقد نهاهم عن الاشتغال بالكلام، وحثهم على لزوم طريقة السلف والاشتغال بالفقه والسنن ومجانبة البدع وأهل الأهواء والخصومات.

المطلب الثاني
موقف الإمام مالك بن أنس من علم الكلام

كان الإمام مالك بن أنس رحمه الله من أشد الأئمة تمسكاً بالسنة، واتباعاً لآثار الصحابة ﷺ والتابعين لهم بإحسان، ومن أكثرهم تحذيراً من البدع والأهواء

---

(٦٠) المصدر السابق ٣٧٦/١٣.

(٦١) المصدر السابق ٣٧٧/١٣-٣٧٨.

(٦٢) ميزان الاعتدال للذهبي ١٧٣/٤.

(٦٣) تاريخ بغداد ١٦٤/١٣. وسير أعلام النبلاء ٢٠٢/٧.

(٦٤) تاريخ بغداد ٣٧٦/١٣.

والضلالات، ومن أعظم ما حذر منه الخوض في الدين بالكلام وعلم الكلام، وأهل الأهواء الذين يرون أن الدين لا يعرف معرفةً راسخةً وحقيقيةً إلا بعلم الكلام والجدل والخصومات.

قال أبو طالب المكي: (كان مالك رحمه الله أبعد الناس من مذاهب المتكلمين، وأشدهم نقضاً للعراقيين، وألزمهم لسنة السالفين من الصحابة والتابعين)(٦٥).

وكان من شدة إنكاره للجدال والمراء، أنه ينهى عن ذلك حتى في باب المدافعة عن السنة، كما بيّن ذلك الهيثم بن جميل حيث قال: قلت لمالك بن أنس: يا أبا عبد الله، الرجل يكون عالماً بالسنة، أيجادل عنها؟ قال: لا، ولكن يخبر بالسنة، فإن قبلت منه وإلا سكت)(٦٦).

وإنكار الإمام مالك للجدال والمراء ونهيه عنهما لما يؤدي إليه من فساد الدين والانشغال بالجدل عن العمل، فكان السكوت عنه أسلم وأحكم.

والأقوال المأثورة عن الإمام مالك في هذا الباب كثيرة ومشهورة، أسوق منها ما يبين موقفه الحازم من علم الكلام والخوض فيه:

١. قال مصعب* بن عبد الله الزبيري: كان مالك بن أنس يقول: (الكلام في الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه، وينهون عنه، نحو الكلام في رأي جهم، والقدر، وما أشبه ذلك، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل؛ فأما الكلام في الله، وفي الله ﷻ فالسكوت أحب إلي، لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا ما تحته عمل)(٦٧).

٢. قال عبد الرحمن* بن مهدي: (دخلت على مالك وعنده رجل يسأله عن القرآن فقال: (لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد؟ لعن الله عمراً، فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام، ولو كان الكلام علماً لتكلم فيه الصحابة والتابعون، كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل)(٦٨).

٣. قال إسحاق* بن عيسى: قال مالك: (من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب

---

(٦٥) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣٩/٢. وسير أعلام النبلاء ١٠٦/٨.

(٦٦) جامع بيان العلم وفضله ١٢٥/٢. مناقب مالك للزواوي ص١٤٦.

(٦٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي ٣٠٩/٢. جامع بيان العلم وفضله ١٢٧/٢.

(٦٨) مناقب مالك للزواوي ص١٤٧-١٤٨. شرح السنة للبغوي ٢١٧/١.

المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب)(٦٩).

٤. قال أشهب* بن عبد العزيز: سمعت مالك بن أنس يقول: (إياكم والبدع. قيل: يا أبا عبد الله، ما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسمائه وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون)(٧٠).

٥. وقال المزني*: لقد سمعت الشافعي يقول: (سئل مالك عن الكلام والتوحيد، فقال: محال أن نظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد)(٧١).

٦. وقال إسحاق بن عيسى: سمعت مالك بن أنس يعيب الجدل في الدين ويقول: (كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل عليه السلام على محمد ﷺ لجدله)(٧٢).

٧. وقال عبد الله بن وهب: سمعت مالكاً يقول: (ليس هذا الجدل من الدين بشيء)(٧٣).

٨. وقال عبد الله بن وهب: سمعت مالك بن أنس يقول: (الجدال في الدين ينشئ المراء ويذهب بنور العلم من القلب ويقسّي، ويورث الضغن)(٧٤).

٩. قال أبو ثور: سمعت الشافعي يقول: كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال: (إني على بينة من ديني، وأما أنت فشاكٌّ، اذهب إلى شاكٍّ مثلك فخاصمه)(٧٥).

١٠. قال مالك: (لم يكن من هذه الأهواء شيء على عهد النبي ﷺ، ولا أبي بكر، ولا عمر، ولا عثمان)(٧٦).

فهذه الأقوال المأثورة عن الإمام مالك رحمه الله تبين موقفه الصارم وإنكاره الشديد للخوض في علم الكلام والدخول فيه فإنه من البدع التي لم يكن عليها الصحابة رضي الله عنهم والتابعون، ولم يوجد في عهدهم، وأن من طلب الدين بالكلام أفسد دينه

---

(٦٩) الحجة في بيان المحجة ١٠٥/١. ومناقب مالك للزواوي ص١٤٧.

(٧٠) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني ص٢٤٤. ومناقب مالك للزواوي ص١٤٧.

(٧١) سير أعلام النبلاء ٢٦/١٠.

(٧٢) الإبانة الكبرى لابن بطة ٥٠٧/٢. وحلية الأولياء، لابن نعيم ٣٢٦/٦.

(٧٣) ترتيب المدارك ٢٣٩/٢. والاعتصام للشاطبي ٩٣/٢.

(٧٤) الإبانة الكبرى ٢/ ١٥٣.

(٧٥) الإبانة الكبرى ٤٠٤/١. وحلية الأولياء ٣٢٤/٦.

(٧٦) الإبانة الكبرى، لابن بطة (ص: ١٥٤).

وقاده إلى الزندقة، وابتلي بقسوة القلب وأكثر التنقل من دين إلى دين، وذهاب نور العلم ومآل الحال إلى الأضغان والعدوات.

ولم يدخل الإمام مالك في شيء من الخوض والجدل مع أهل الأهواء والكلام، بل كان ينهى عن ذلك ويحذر منه؛ لأنه ليس من الدين في شيء، وأن مآل أهله إلى الشكِّ والحيرة والاضطراب والخوض في آيات الله بالباطل وتكذيب القرآن ورد السنن.

المطلب الثالث

موقف الإمام الشافعي من علم الكلام

حفلت كتب الإمام الشافعي رحمه الله وأقواله المأثورة عنه ببيان موقفه من علم الكلام وشهرته بذلك، وكان من أكثر الأئمة الأربعة ذماً وعيباً لعلم الكلام وأهله والخوض فيه.

قال الحافظ ابن عساكر رحمه الله: (قد حفظ عن غير واحد من علماء الإسلام عيب المتكلمين وذم أهل الكلام، ولو لم يذمهم غير الشافعي لكفى، فإنه قد بالغ في ذمهم وأوضح حالهم وشفى)[(٧٧)].

ومما لقب به الشافعي رحمه الله من قبل عدد من الأئمة أنه "ناصر السنة"، أو "ناصر الحديث" نظراً لما قام به من جهود عظيمة في بيان لمنزلة السنة ووجوب الأخذ بها والرد على شبهات الزائغين عنها، لا سيما أهل الكلام. ومن نظر في كتابه الرسالة تبين له نفوذ بصره وعمق علمه وسعة إحاطته بالكتاب والسنة، وقوة حجته في دحض شبه المخالفين.

وقد تنوعت الأقوال الواردة عن الإمام الشافعي في ذم علم الكلام وأهله فمنها ما يحذر فيه من الدخول في ذلك العلم وتعلمه وتعليمه، ومنها ما يبين فيه آثاره وعواقبه الوخيمة لمن دخل فيه، ومنها ما يبين به الحكم الشرعي فيمن وقع في شيء منه، ومنها ما يبطل به شبهات أهل الكلام وخصوماتهم.

وفيما يلي سياق لأبرز ما نقل عن الإمام الشافعي من أقوال يتبين بها موقفه ورأيه في علم الكلام والخوض فيه: ـ

(٧٧) تبيين كذب المفتري، لابن عساكر (ص: ٣٣٣).

١. قال أبو ثور: سمعت الشافعي يقول: (ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح)[٧٨].

٢. وقال ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: (لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه كما يفرون من الأسد)[٧٩].

٣. وقال المزني: (كان الشافعي ينهى عن الخوض في الكلام)[٨٠].

٤. وقال الربيع بن سليمان: (قال لي الشافعي: لو أردتُ أن أضع على كل مخالف كتاباً لفعلتُ، ولكن ليس الكلام من شأني، ولا أحب أن ينسب إليّ منه شيء)[٨١].

٥. وقال الشافعي: (لأن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك به خير من النظر في الكلام، فإني والله، اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط)[٨٢].

٦. وقال سهيل بن نعيم: قال الشافعي: (كل من تكلم الكلام في الدين أو في شيء من هذه الأهواء ليس له فيه إمام متقدم من النبي ﷺ وأصحابه، فقد أحدث في الإسلام حدثاً)[٨٣].

٧. قال الربيع: قال الشافعي: (يا ربيع، اقبل مني ثلاثة: لا تخوضن في أصحاب رسول الله ﷺ، فإنَّ خصمك النبي ﷺ غداً، ولا تشتغل بالكلام، فإني اطلعت من أهل الكلام على التعطيل، وزاد المزني: ولا تشتغل بالنجوم)[٨٤].

٨. وقال الشافعي: (حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويجعلوا على الإبل ويطاف بهم في العشائر والقبائل، وينادى عليهم هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام)[٨٥].

---

(٧٨) مناقب الشافعي، لابن أبي اتم (ص١٨٢).

(٧٩) حلية الأولياء ١١١/٩. تبيين الذب المفتري (ص٣٣٦).

(٨٠) مناقب الشافعي، لابن أبي حاتم (ص١٨٨-١٨٩). الحجة على تارك المحجة ٢١٨/٢.

(٨١) الحجة على تارك المحجة ح (٢١٨). سير أعلام النبلاء ٣١/١٠.

(٨٢) حلية الأولياء ١١١/٩. مناقب الشافعي ٤٥٤/١.

(٨٣) سير أعلام النبلاء ٢٨/١٠. توالي التأسيس لأبن حجر (ص١١١).

(٨٤) فصول من كتاب الانتصار لأصحاب الحديث للسمعاني، جمع د. محمد بن حسين الجيزاني (ص٧).

(٨٥) مناقب الشافعي للبيهقي ٤٦٢/١. شرح السنة للبغوي ٢١٨/١.

٩. وقال المزني: سألت الشافعي عن مسألة في الكلام فقال: (سلني عن شيء، إذا أخطأتُ فيه قلتَ: أخطأتَ، ولا تسألني عن شيء إذا أخطأتُ فيه قلتَ: كفرتَ)(٨٦).

١٠. وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول في كتاب الوصايا: (لو أن رجلاً أوصى بكتبه من العلم لآخر، وكان فيها كتب الكلام لم تدخل في الوصية، لأنه ليس من العلم)(٨٧).

١١. وقال الربيع: (رأيت الشافعي وهو نازل من الدرجة وقوم في المجلس يتكلمون في شيء من الكلام فصاح وقال: إما أن تجاورونا بخير وإما أن تقوموا عنا)(٨٨).

١٢. وقال الربيع: (لما كلم الشافعي رحمه الله حفصاً الفرد، فقال حفص: القرآن مخلوق. قال الشافعي: كفرتَ بالله العظيم)(٨٩).

١٣. وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: (كان الشافعي بعد أن ناظر حفصاً الفرد يكره الكلام ويقول: والله، لأن يفتي العالم فيقال: أخطأ العالم خير له من أن يتكلم).

١٤. وقال حسين بن علي الكرابيسي: شهدت الشافعي ودخل عليه بشر المريسي فقال لبشر: (أخبرني عما تدعو إليه: أكتاب ناطق، وفرض مُفْتَرضٌ، وسنة قائمة، ووجدت عن السلف البحث فيه والسؤال؟ فقال بشر: لا، إلا أنه لا يسعنا خلافه. فقال الشافعي: أقررت بنفسك على الخطأ. فأين أنت عن الكلام في الفقه والأخبار، يُواليك الناس عليه، وتترك هذا؟ قال: لنا نَهْمَةٌ فيه. فلما خرج بشر قال الشافعي: لا يُفلح)(٩٠).

هذا ما تيسر إيراده من أقوال الإمام الشافعي رحمه الله تبين من خلالها عظم إنكاره للخوض في علم الكلام ونهيه عنه، ووصيته لطلابه بالحذر منه والدخول فيه

(٨٦) سير أعلام النبلاء ٢٨/١٠. توالي التأسيس لابن حجر (ص١١١).
(٨٧) الحجة على تارك المحجة ح (٢١١).
(٨٨) مناقب الشافعي للبيهقي ٤٥٩/١.
(٨٩) المصدر السابق ٤٠٧/١.
(٩٠) مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٢٠٤.

لما يفضي إليه من التعطيل في التوحيد والوقوع في الكفر والزندقة، واستحقاق الخائضين فيه للعقوبة والنكال، والتشهير بهم بين الناس لإعراضهم عن الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة.

قال الإمام أبو المظفر السمعاني رحمه الله: (فهذا كلام الشافعي في ذم الكلام والحث على السنة، وهو الإمام الذي لا يجارى، والفحل الذي لا يقاوم)(٩١).

ومما ينبغي التنبيه عليه في خاتمة هذا المطلب أن بعض اتباع الإمام الشافعي رحمه الله المنتسبين إليه في الفقه والفتوى دون العقيدة قد حملوا كلام الشافعي في ذم الكلام وأهله على كلام المعتزلة؛ لأنه لم يكن في وقته متكلم سواهم، فأما الكلام على الوجه الصحيح، فليس داخلاً في ذمه وعيبه.

قال البيهقي عند قول الإمام الشافعي (من ارتدى بالكلام لم يفلح): وإنما يعني ـ والله أعلم ـ كلام أهل الأهواء الذين تركوا الكتاب والسنة، وجعلوا معولهم عقولهم، وأخذوا في تسوية الكتاب عليها، وحين حملت إليهم السنة بزيادة بيان لنقض أقاويلهم اتهموا رواتها وأعرضوا عنها... فأما أهل السنة، فمذهبهم في الأصول مبني على الكتاب والسنة، وإنما أخذ من أخذ منهم في العقل إبطالا لمذهب من زعم أنه غير مستقيم على العقل)(٩٢).

وقال في موضع آخر: (فأما الكلام الذي يوافق الكتاب والسنة وبين بالعقل والعبرة، فإنه محمود مرغوب فيه عند الحاجة، تكلم فيه الشافعي وغيره من أئمتنا ﷺ عند الحاجة كما سبق ذكرنا له)(٩٣).

وخلاصة كلام البيهقي رحمه الله ومن وافقه عليه كابن عساكر وغيره أن ذم الشافعي لعلم الكلام خاص بكلام المبتدعة وأهل الأهواء، وهم المعتزلة والقدرية، ولا يدخل فيه كلام غيرهم ممن انتسب إلى أهل السنة كالأشعرية ونحوهم.

وتأويلهم هذا يهدف إلى تصحيح ما هم عليه من انتهاج للمذهب الأشعري في الاعتقاد وإخراج أنفسهم وتبرئتها من ذم الشافعي وغيره من السلف لعلم الكلام

(٩١) فصول من كتاب الانتصار لأهل الحديث (ص٨).

(٩٢) مناقب الشافعي للبيهقي ٢٠٤/١.

(٩٣) مناقب الشافعي ٤٦٣/١.

والخوض فيه.

وقد رُدَّ هذا التأويل وأجيب عنه، ومن أحسن من رده وبين خطأه وتوسع في مناقشته شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقد قال: (المقصود هنا شيئان: أحدهما أن الذين يعظمون الأشعري وأمثاله من أهل الكلام، كالبيهقي وابن عساكر وغيرهما، وقد عرفوا ذم الشافعي وغيره من الأئمة للكلام، ذكروا أن الكلام المذموم هو كلام أهل البدع... إلى أن قال: قلت: وهذا اتفاق من علماء الأشعرية مع غيرهم من الطوائف المعظمين للسلف على أن الكلام المذموم عند السلف كلام من يترك الكتاب والسنة، ويعوّل في الأصول على عقله، فكيف بمن يعارض الكتاب والسنة بعقله؟ وهذا هو الذي قصدنا إبطاله، وهو حال أتباع صاحب "الإرشاد" الذين وافقوا المعتزلة في ذلك.

وأما الرازي وأمثاله فقد زادوا في ذلك على المعتزلة، فإن المعتزلة لا تقول: إن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين، بل يقولون: إنها تفيد اليقين، ويستدلون بها أعظم مما يستدل بها هؤلاء.

والثاني: أن كلام الشافعي ﷺ ونحوه من الأئمة تضمن ذم كلام حفص الفرد وأمثاله في مسألة القرآن، والكلام في ذلك مبني على نفي قيام الأفعال به)[٩٤].

فهذا الكلام من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يبين أن من ذم علم الكلام وأهله من أئمة السلف منهم الشافعي رحمه الله شامل لكل من عارض الكتاب والسنة بالعقل أو عظم العقل وترك تحكيم الكتاب والسنة، فالأشعرية داخلون في هذا الذم لما وقع منهم من موافقة المعتزلة في بعض أصولهم، بل زادوا عليهم كما وقع ذلك من الرازي ومن سلك سبيله[٩٥]، فلا سبيل للأشعرية من تبرئة أنفسهم من هذا الذم بحال.

يقول الإمام أبو نصر السجزي: (ثم بُلي أهل السنة بعد هؤلاء ـ يعني المعتزلة ـ بقوم يدعون أنهم من أهل الاتباع، وضررهم أكثر من ضرر المعتزلة وغيرهم،

(٩٤) درء تعارض العقل والنقل٧//٢٧٤ـ٢٧٥.

(٩٥) منهج الإمام الشافعي في إثبات العقيدة، د. محمد العقيل (ص١٤٢ـ١٤٩).

وهم: أبو محمد بن كلاب وأبو العباس القلانسي، وأبو الحسن الأشعري)[٩٦].

المطلب الرابع

موقف الإمام أحمد بن حنبل من علم الكلام

يُعدّ الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إمام أهل السنة والجماعة في زمانه ولكل من جاء بعده، لما كان عليه من معرفة بالسنة علماً وعملاً، والدفاع عنها واحتمال للأذى في سبيل إظهارها ودفع البدع المخالفة لها، فحفظ الله بصبره في المحنة وثباته الإيمان الموروث والأصول النبوية ممن أراد أن يحرفها ويبدلها، فصار مثلاً سائراً يضرب به المثل في المحنة والصبر على الحق.

قال الإمام أبو نصر* السجزي رحمه الله: (... ثم ظهر الكلام وأهله وانتشرت كتب الفلاسفة وأهل الزيغ في أيدي الناس وكثرت المذاهب في الأصول فأيّد الله سبحانه بمنه أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني رحمه الله حتى قام بإظهار المنهاج الأول... وكان متمسكاً بآثار السلف، ومتمكناً من العقل والعلم والحلم، فنشر ما كان عليه السلف وثبت في المحنة، ولم يأت من عنده بشيء، ولم يعول إلا على السنن الثابتة)[٩٧].

وقد حفلت سيرة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله بجانب عظيم من المواقف المشهودة في التصدي لأصحاب المنهج الكلامي من الجهمية والمعتزلة، فألف الكتب في الرد عليهم وإبطال شبهاتهم واحتمل ما حل به من أذاهم، ولم يذعن لسطوتهم، وأذاع في الأمة فساد عقائدهم وأقوالهم، وحذر من مجالستهم والخوض معهم في بدعهم وضلالهم، وأوضح للناس سوء عاقبة آرائهم ومقالاتهم.

وفيما يلي سياق لأبرز ما نقل عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله من مقولات يتضح بها موقفه تجاه علم الكلام والخوض فيه:

١. قال الإمام أحمد رحمه الله في رسالته للخليفة المتوكل في أمر القرآن: (ولست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله ﷻ أو في حديث رسول الله ﷺ أو عن أصحابه أو عن التابعين، فأما غير ذلك فإن

(٩٦) الرد على من أنكر الحرف الصوت، للسجزي (ص٢٢٢).

(٩٧) الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي (ص٢١٥).

الكلام فيه غير محمود)[٩٨].

٢. وقال المروذي*: سمعت أبا عبد الله يقول: (من تعاطى الكلام لا يفلح، من تعاطى الكلام لم يخل من أن يتجهم)[٩٩].

٣. وقال أبو الحارث* الصائغ: سمعت أبا عبد الله يقول: (من أحب الكلام لم يخرج من قلبه)[١٠٠].

٤. وقال حنبل*: سمعت أبا عبد الله يقول: (ما رأيت أحداً طلب الكلام واشتهاه فأفلح؛ لأنه يخرجه إلى أمر عظيم، لقد تكلموا يومئذ بكلام واحتجوا بشيء ما يقوى قلبي، ولا ينطلق لساني أن أحكيه)[١٠١].

٥. وقال حنبل*: سمعت أبا عبدالله يقول: (عليكم بالسنة والحديث، وما ينفعكم الله به، وإياكم والخوض والجدال والمراء، فإنه لا يفلح من أحب الكلام، وكل من أحدث كلاماً لم يكن آخر أمره إلا إلى بدعة لأن الكلام لا يدعو إلى خير، ولا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدال، وعليكم بالسنن والآثار والفقه الذي تنتفعون به، ودعوا الجدال وكلام أهل الزيغ والمراء، أدركنا الناس ولا يعرفون هذا، ويجانبون أهل الكلام، وعاقبة الكلام لا تؤول إلى خير، أعاذنا الله وإياكم من الفتن، وسلمنا وإياكم من كل هلكة)[١٠٢].

٦. وقال صالح* بن أحمد بن حنبل كتب رجل إلى أبي يسأله عن مناظرة أهل الكلام والجلوس معهم فأملى على جوابه: (أحسن الله عاقبتك، ورفع عنك كل مكروه ومحذور الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم أنهم كانوا يكرهون الكلام والخوض مع أهل الزيغ، وإنما الأمر التسليم والانتهاء إلى ما في كتاب الله ﷻ ولا يعد ذلك، ولم يزل الناس يكرهون كل محدث من وضع كتاب أو جلوس مع مبتدع ليورد عليه بعض ما يلبس عليه في دينه، فالسلامة ـ إن شاء الله ـ في ترك مجالستهم والخوض معهم في بدعهم وضلالهم، فليتق الله رجل وليصر إلى

(٩٨) حلية الأولياء ٢١٦/٩-٢١٩، سير أعلام النبلاء ٢٨٦/١١.

(٩٩) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٥٣٨/٢.

(١٠٠) طبقات الحنابلة ٢٧٥/١. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٤١٩/٢.

(١٠١) تاريخ الإسلام للذهبي ٢٤٨-٢٥٠، وفيات ص٩٠.

(١٠٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٥٣٩/٢.

ما يعود عليه نفعه غداً من عمل صالح يقدمه لنفسه)[١٠٣].

٧. وقال أبو عمران* موسى بن هارون الحمال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: (لا تجالسوا أهل الكلام وإن ذبوا عن السنة)[١٠٤].

٨. وقال الإمام أحمد: (أئمة الكلام زنادقة)[١٠٥].

٩. قال أبو الحارث*: سمعت أبا عبد الله يقول: (إذا رأيت الرجل يحب الكلام فاحذروه)[١٠٦].

١٠. قال أبو الحارث*: سألت أبا عبد الله، فقلت: إن هاهنا رجلاً يناظر الجهمية ويبين خطأهم، ويدقق عليهم المسائل، فما ترى؟ قال: لست أرى الكلام في شيء من هذه الأهواء، ولا أرى لأحد أن يناظرهم، أليس قال معاوية بن قرة: الخصومة تحبط الأعمال؟ والكلام الرديء لا يدعو إلى خير لا يفلح صاحب كلام، تجنبوا أصحاب الجدال والكلام، عليكم بالسنن وما كان عليه أهل العلم قبلكم، فإنهم كانوا يكرهون الكلام والخوض مع أهل البدع والجلوس معهم، وإنما السلامة في ترك هذا، لم نؤمر بالجدال والخصومات مع أهل الضلالة، فإنه سلامة له منه)[١٠٧].

١١. وقال عبدوس* بن مالك العطار: سمعت أحمد بن حنبل يقول: (أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه الصحابة، وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، والخصومات في الدين، وليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول)[١٠٨].

بالجملة، فكلام الإمام أحمد رحمه الله وأقواله في هذا الباب كثيرة جداً، وقد اعتنى بجمعها ثلة من أهل العلم، كالخلال، وابن أبي يعلى، وعبد الله وصالح ابني الإمام أحمد، وغيرهم.

وقد أوردت في هذا المقام ما يبين شدة إنكاره لعلم الكلام والدخول فيه، وأنه

(١٠٣) مسائل صالح بن أحمد (ص١٦٤).
(١٠٤) طبقات الحنابلة ٣٣٤/١.
(١٠٥) تلبيس إبليس، لابن الجوزي (ص١٠٢)، مجموع الفتاوى ٤٦٠/١٢.
(١٠٦) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٥٤٠/٢.
(١٠٧) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٥٤٠/٢.
(١٠٨) طبقات الحنابلة ٢٤١/١.

من أعظم الابتداع في الدين، وباب من أبواب الولوج في الشر والباطل، وسبيل النجاة منه بلزوم الكتاب والسنة والتسليم لما جاء فيهما واتباع سبيل سلف الأمة من الصحابة ﷺ والتابعين لهم بإحسان، والاشتغال بما ينفع العبد عند ربه من العلم النافع والعمل الصالح، والبعد عن الجدل والخصومات التي تورث الشكوك والحيرة وإن قصد أصحابها الذب عن السنة، ولزوم ذلك مما تحيا به السنن وتمات به البدع وتدفع به الفتن.

المبحث الرابع
موقف المتكلمين من الأئمة الأربعة

على الرغم من انتساب كثير من المتكلمين إلى الأئمة الأربعة واتباع مذاهبهم في الفقه والفتوى إلا أنهم انقسموا في نظرتهم إليهم والاعتراف بفضلهم وعلو مكانتهم وعمق علومهم إلى أقسام ثلاثة، يمكن بيانها كما يلي:

القسم الأول: قوم صرحوا بإتباع أحد الأئمة الأربعة في الفروع فقط، وأما في أصول الدين ومسائل الاعتقاد فيتبعون غيره، ومرد ذلك أن الأئمة لم يحكموا أصول الدين ولم يخوضوا غمارها ويدركوا أسرارها لجهلهم بعلم الكلام الذي هو أشرف العلوم، وأولاها بالتحصيل، وأن الأئمة اشتغلوا بأمر الفقه الذي هو معرفة أحكام الأفعال وهو عند هؤلاء المتكلمين من باب الظنون لا العلوم.

وهؤلاء المتكلمون إنما يصدرون في نظرتهم للأئمة الأربعة من أصلهم الكلامي الفاسد أن مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أعلم وأحكم(١٠٩).

وهذه المقالة ذاعت وشاعت بين المتأخرين من المتكلمين ومن تأثر بهم وقد تعقب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذه المقالة وبين فسادها وكشف عوارها في مواضع شتى من كتبه، ووصفها بأنها شعبة من الرفض وقائلها في عداد الأغبياء ممن لم يقدر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها(١١٠).

القسم الثاني: قوم زعموا أن الأئمة الأربعة كانوا على معرفة ودراية وبصيرة بعلم الكلام وقواعد المنطق، ومنهم من ألف في ذلك كتباً كالشافعي، وأهل هذا القول يسعون إلى نسبة ما هم عليه من آراء وعقائد كلامية إلى الأئمة الأربعة ليكون ذلك

(١٠٩) الفتوى الحموية الكبرى ص٢٠٢-٢٠٤
(١١٠) مجموع فتاوى ١٥٧/٤، و التسعينية ٩٤١/٣

أدعى لقبولها ورواجها بين الناس.

وممن ذهب إل هذا الزعم عبد القاهر البغدادي، فقد قال: للشافعي كتابان في الكلام أحدهما في تصحيح النبوة والرد على البراهمة، والثاني في الرد على أهل الأهواء[(١١١)].

وقوله هذا افتراء على الشافعي رحمه الله، فكل من ترجم للشافعي لم يذكر تصنيفه لأي من هذين الكتابين، فكيف زعم البغدادي ذلك، وما مستنده فيه؟!!

وقد تقدم في المبحث الثالث بيان موقف الأئمة الأربعة من علم الكلام واتفاقهم على ذمه وتحريم الدخول فيه والتحذير من مآلاته.

قال ابن عبد البر رحمه الله: (أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدعٍ وزيغٍ، ولا يُعدّون عند الجميع في طبقات الفقهاء)[(١١٢)].

ومن المعلوم أن جميع ما ابتدعه المتكلمون وغيرهم مما يخالف الكتاب والسنة فهو باطل، والأئمة الأربعة براء مما ينسبه إليهم بعض المتكلمين من آراء ومعتقدات كلامية منحرفة وخارجة عن السنة.

القسم الثالث: قوم وضعوا من شأن الأئمة وانتقصوا علمهم وزعموا أنهم مجرد رواة ونقلة للأحاديث والآثار، لا يدرون ما يروون، وأن غيرهم من أرباب الكلام والمنطق أعلم منهم وأحكم لمسائل أصول الدين.

وممن زعم ذلك أبو إسحاق الشيرازي، حيث يقول: (وأما قول الجهلة: نحن شافعية الفرع حنبلية الأصل، فلا يعتد بهم، لأن أحمد بن حنبل ﵁ لم يصنف كتاباً في الأصول، ولم ينقل عنه في ذلك شيء أكثر من صبره على الضرب والحبس حين دعاه المعتزلة في القول بخلق القرآن ولم يوافق، ودعي إلى المناظرة فلم يناظر، فالاقتداء بمن صنف في ذلك وتكلم فيه وقمع المبتدعة بالأدلة القاطعة والحجج الباهرة أولى وأحرى)[(١١٣)].

---

(١١١) أصول الدين للبغدادي (ص٣٠٨).

(١١٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١٣٠/٢.

(١١٣) عقيدة أبي إسحاق الشيرازي ضمن كتاب شرح اللمع ١١٥/١.

وكلام الشيرازي عن الإمام أحمد رحمه الله كلام مردود مخالف للواقع، وذلك أن الإمام أحمد رحمه الله قد ألف في أصول الدين ورد على المبتدعة في زمانه وروى عنه الأقوال الكثيرة في شتى مسائل أصول الدين ما لم يرو عن غيره من بقية الأئمة الثلاثة رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (الإمام أحمد رحمه الله لما انتهى إليه من السنة ونصوص رسول الله ﷺ أكثر مما انتهى إلى غيره، وابتلي بالمحنة والرد على أهل البدع أكثر من غيره، كان كلامه وعلمه في هذا الباب أكثر من غيره، فصار إماماً في السنة أظهر من غيره)(١١٤).

ويقول الذهبي رحمه الله: (وكلام الإمام أحمد كثير طيب في أصول الدين لا يتسع هذا الباب لسياقه، قد جمعه الخلال في مصنف سماه (كتاب السنة) عن أحمد بن حنبل في ثلاث مجلدات)(١١٥).

وأما ما كتبه الإمام أحمد رحمه الله، فأشهرها كتاب الرد على الزنادقة الجهمية فيما شكَّت فيه من متشابه القرآن وأولته على غير تأويله، ومنها ما جمعه أبناؤه وتلاميذه وأتباعه من أقواله في مسائل أصول الدين، كما أوضح ذلك الذهبي ¬ وغيره، فكيف يقال بعد هذا كله إن الإمام أحمد لم يصنف كتاباً في الأصول، ولم ينقل عنه في ذلك شيء؟!

وهل هذا إلا جهل وقصور في حق إمام أهل السنة وجهوده في نصر السنة والذب عنها وقمع البدع ومجاهدة أهلها(١١٦).

(١١٤)مجموع الفتاوى ١٧٠/٣.

(١١٥) تاريخ الإسلام وفيات ٢٤١ـ٢٥٠ ص٩٠.

(١١٦) للمزيد في إبطال قول الشيرازي ينظر كتاب براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة (ص٣٩٦ـ٤٠٤).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد

فقد يسَّر الله تعالى بعونه وفضله إنجاز هذا البحث وكان من أبرز ما توصلت إليه من نتائج يتبين في الآتي:

١. اتفاق الأئمة الأربعة على وحدة مصادر التلقي وحصرها في الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة ونبذهم لما خالفها.

٢. اعتقاد الأئمة الأربعة مبني على الاتباع وترك الابتداع.

٣. الأئمة الأربعة متفقون على أصول الاعتقاد وإثبات ما نطق به الكتاب والسنة سوى ما ورد عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله في مسألة الإيمان.

٤. اتفاق الأئمة الأربعة على تحريم علم الكلام والخوض فيه.

٥. إنكار الأئمة الأربعة لمسائل المتكلمين المبتدعة وأصولهم الفاسدة.

٦. تحذير الأئمة الأربعة من مجادلة ومناظرة أهل الكلام لئلا يقابل الفاسد بالفاسد، والبدعة بالبدعة.

٧. تبيين الأئمة الأربعة لآثار علم الكلام وعواقبه الوخيمة ومآلاته الأثيمة.

٨. براءة الأئمة الأربعة مما نسبه إليهم بعض المتكلمين من خوض في علم الكلام وطلب للجدال والخصام.

٩. تنوع موقف المتكلمين المنتسبين إلى الأئمة الأربعة تجاه أولئك الأئمة.

فهرس المصادر والمراجع

١.	الإبانة الصغرى، لابن بطة، ط٢، ت د. رضا نعسان، مكتبة العلوم والحكم
٢.	الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة، ط١، ت د. رضا نعسان، دار الراية
٣.	أحاديث في ذم الكلام، لأبي الفضل المقرئ، ط١، ت د. ناصر الجديع، دار أطلس
٤.	أخبار أبي حنيفة، للصيمري، دار عالم الكتب، ط٢ ١٤٠٥هـ، بيروت
٥.	الإصابة في تميز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، مكتبة الفجالة
٦.	أصول الدين، لعبد القاهر البغدادي، مكتبة المثنى، بغداد
٧.	الاعتصام، للشاطبي ـ ط١، ت د. هشام الصيني ومحمد الشقير، دار ابن الجوزي
٨.	الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، لابن عبد البر، دار الكتب العلمية، بيروت
٩.	إيقاظ همم أولي الأبصار، للفلاني، دار المعرفة، بيروت
١٠.	براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة، د. عبد العزيز الحميدي، ط١، دار ابن عفان
١١.	تاريخ الإسلام، للذهبي، ط١، ١٤١١هـ، ت د. عمر تدمري، دار الكتاب العربي
١٢.	تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت

١٣.	تبيين كذب المفتري لابن عساكر، دار الكتاب العربي، بيروت
١٤.	تذكرة الحفاظ للذهبي، دار إحياء التراث العربي
١٥.	ترتيب المدارك للقاضي عياض، ط١ ١٤٣٥هـ، ت حسن شلبي وآخرون، مؤسسة الرسالة
١٦.	التسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط١ ١٤٢٣هـ، ت د. محمد العجلان، مكتبة المعارف
١٧.	تلبيس إبليس لابن الجوزي، ط٢ ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت
١٨.	تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي، ط٢، مؤسسة الرسالة، ت بشار عواد وشعيب الأرناؤوط
١٩.	توالي التأسيس، لابن حجر العسقلاني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت
٢٠.	جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ط١، دار ابن الجوزي، بيروت
٢١.	جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، د. محمد لوح، ط١ ١٤١٨هـ، دار ابن عفان
٢٢.	حاشية ابن عابدين، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي
٢٣.	الحجة على تارك المحجة لابي الفتح المقدسي
٢٤.	الحجة في بيان المحجة لقوام السنة الأصبهاني، ط١، دار الراية ١٤١١هـ، ت محمد المدخلي ومحمد أبو رحيم
٢٥.	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني، ط٣، دار الكتاب العزي، بيروت

٢٦.	درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ت د. محمد رشاد سالم
٢٧.	ذم الكلام للهروي، ط١ ١٤١٨هـ، ت عبد الرحمن الشبل، مكتبة العلوم والحكم
٢٨.	الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ت د. محمد باكريم
٢٩.	الرسالة للإمام الشافعي، ت أحمد شاكر
٣٠.	سنن ابن ماجه، ط بيت الأفكار الدولية، ١٤٢٠هـ
٣١.	سنن أبي داود السجستاني، ط بيت الأفكار الدولية، ١٤٢٠هـ
٣٢.	سنن الترمذي، ط بيت الأفكار الدولية، ١٤٢٠هـ
٣٣.	سنن الدارمي، ط حديث أكادمي، باكستان، ط ١٤٠٤هـ
٣٤.	سنن النسائي، ط بيت الأفكار الدولية، ١٤٢٠هـ
٣٥.	سير أعلام النبلاء للذهبي، ط٤ ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة
٣٦.	شرح أصول اعتقاد أهل السنة الجماعة، للالكائي، ط١، دار طيبة، ت د. أحمد سعد حمدان
٣٧.	شرح السنة للإمام البغوي، ط المكتب الإسلامي، بيروت
٣٨.	شرح اللمع لأبي إسحاق الشيرازي
٣٩.	شرح المقاصد للتفتازاني، ط١ ١٤٠٩هـ، ت د. عبد الرحمن عميرة، عالم الكتاب، بيروت

٤٠.	الشريعة للإمام الآجري، ط١ ١٤٢٨هـ، ت د. عبد الله الدميجي، دار الوطن
٤١.	صحيح الإمام البخاري، ط بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ
٤٢.	صحيح الإمام مسلم، ط بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ
٤٣.	صحيح الجامع الصغير للشيخ الألباني، ط٢، ١٤٠٦هـ، المكتب الإسلامي، بيروت
٤٤.	طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، دار المعرفة، بيروت
٤٥.	عقيدة السلف وأصحاب الحديث لأبي عثمان الصابوني، ط١١، ١٤١٠هـ، ت د. ناصر الجديع، دار العاصمة
٤٦.	الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط١، ت حمد التويجري، دار الصميعي
٤٧.	فصول من كتاب الانتصار لأهل الحديث لأبي المظفر السمعاني، جمع محمد الجيزاني، مكتبة أضواء المنار
٤٨.	الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي، ط٢ ١٤٠٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت
٤٩.	المجموع شرح المهذب للنووي، مكتبة الإرشاد، جدة، ت محمد نجيب المطيعي
٥٠.	مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، وابنه محمد، دار النهضة
٥١.	مسائل الإمام أحمد لأبي الفضل صالح بن أحمد، ط١، ١٤٢٠هـ، ت

	طارق عوض الله، دار الوطن
٥٢.	مسائل الإمام أحمد لأبي داود السجستاني، ط١، ١٤٢٠هـ، ت طارق عوض الله، مكتبة ابن تيمية
٥٣.	مستدرك الحاكم، للحاكم النيسابوري، دار الكتاب العربي، بيروت
٥٤.	مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط دار الرسالة
٥٥.	مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، للسيوطي، ط الجامعة الإسلامية
٥٦.	مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب للبناني، بيروت
٥٧.	الملل والنحل، للشهرستاني، ط الحلبي، القاهرة
٥٨.	منازل الأئمة الأربعة، لأبي بكر السلماسي، ط١، ت د. محمود قدح، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية
٥٩.	مناقب أبي حنيفة للمكي، طبعة الكتاب العربي ـ بيروت.
٦٠.	مناقب أبي حنيفة، للكردري، طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٦١.	مناقب الشافعي، لابن أبي حاتم، ط٣، ت د. عبد الغني عبد الخالق، مكتبة الخانجي
٦٢.	مناقب الشافعي، للبيهقي، ط١، دار التراث، ت أحمد صقر
٦٣.	مناقب مالك بن أنس، للزواوي، ط١ ١٤١١هـ ت د. الطاهر الدرديري، مكتبة طيبة المدينة
٦٤.	منهج الإمام الشافعي في إثبات العقيدة، د. محمد العقيل، ط ١٤٢٥هـ، أضواء السلف، الرياض

٦٥.	المواقف في علم الكلام، للإيجي، ط١ ١٤١٥هـ، عالم الكتب، بيروت
٦٦.	موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، د. سليمان الغض، ط١، دار العاصمة، الرياض
٦٧.	ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، ط١، دار المعرفة، بيروت